بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ المجلس (٠٠٢)

المقدمة الثانية بين يدي التعليق على الكتاب.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن خير الكلام كلام الله تعالى، وخير الهدى هدى نبينا محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

[مراجعة موجزة لحد علم التاريخ وموضوعه وأهدافه]

أما بعد: فقد كنا شرعنا يوم أمس في تقدمة بين يدي كتاب من كتب التاريخ، وهو كتاب في تاريخ هذا البلد، فأشرنا إلى المراد بالتاريخ في اللغة، والمراد به في اصطلاح أهله أو المتخصصين فيه، فعرّف بما يراد منه ظاهرا وباطنا، وأنه نقل الحوادث والوقائع التي كانت في زمن ماض، مع محاولة تفسيرها وتعليلها، فيُنظر في التاريخ من ناحيتين: من ناحية نقل الحوادث ورواياتها، ومن ناحية تعليلها وتفسيرها، وذكرنا أن الموضوع الذي هو موضوع التاريخ إنما هو الإنسان والزمان، يضاف كذلك المكان، وأشرنا إلى أهم الفوائد أو الأهداف التي يُقصد من ورائها دراسة التاريخ، فذكرنا معرفة السنن الربانية، وعددنا منها ماكان جاريا على خوارق العادات، وما كان جاريا على الطبيعة، وما كان على وفق الأمر والنهي والوعد والوعيد، كذلك التعرف على المعالم التاريخية للإنسانية والبشرية، ومن الفوائد أيضا تأكيد جملة من الحقائق في حياة البشر، وكذلك الحصانة الفكرية للمسلم حتى لا ينحرف عن منهج الله ﷻ، وأيضا من الأهداف المساعدة على فهم الحاضر وتعليله، بناء على ما عرف من الماضي، وحُلِّلَ وفُسر، وهذا للاستفادة للتخطيط للمستقبل، وختمنا بآخر فائدة وهدف من الدراسة للتاريخ، ألا وهو اكتساب التفكير التاريخي الذي يفيد دراسة الحوادث بأسبابها والبحث عن تعليلاتها وتفسيرها، ومعرفة نتائجها،

والاستفادة من وراء ذلك من عدم التعجل والاستعجال، وعدم الجزم بالنتائج، وتفسير حوادث على ضوء السنن الربانية.

[علاقة علم التاريخ بالعلوم الأخرى]

مما يمكن أن يُذكر أيضا في هذا الباب كون التاريخ كعلم ليس مستقلا بل هو له علاقة بفروع كثيرة من العلوم، فما من علم إلا وتجد له تاريخا ونشأة، علم الطب، علم الأدب، علم اللغة، علم الشريعة، علم الفلك، ولهذا ففي كل علم إذا جئت لتدرسه، تتعرض لمعرفة ولبيان نشأة هذا العلم، الذي هو في الحقيقة تاريخ هذا العلم، بل وألّفت في ذلك كتب، من الكتب في علوم الشريعة "تاريخ التشريع الإسلامي" فيذكرون فيه كل ما هو من باب التاريخ، يعني كيف بدأ التشريع؟ وما هي المراحل التي مرّ عليها، والتي سار عليها؟ إلى غير ذلك، فإذن علم التاريخ له علاقة وطيدة بعلوم أخرى وكثيرة.

[مصادر علم التاريخ وفائقية منهج أهل الحديث فيه على غيره]

كذلك مما يُذكر في علم التاريخ: من أين يؤخذ؟ هذا التاريخ من أين يؤخذ؟ لا بد أن تكون له مصادر، هذه المصادر كثيرة، منها الوثائق المكتوب منها والمنقوش، والآثار، كذلك النقوش على المباني والحجارة، الأختام، النقود المسكوكة، روايات الأخبار مشافهة، وكذلك الأخبار المنقولة كتابة، سواء كان في كتب مطبوعة، أو كتب مخطوطة، وفي هذا الباب الذي هو مصدر التاريخ، وفي باب نقل التاريخ شفهيا أو كتابيا يظهر منهج علماء الحديث في تمحيص الأخبار وتدقيقها، ولهذا من أفضل المناهج في دراسة التاريخ هو المنهج الحديثي، أو المنهج الإسلامي، من انتهج على هذا المنهج ألا وهو: دراسة المنقول دراسة سندية، وأيضا دراسة متنية، فعند علماء التاريخ من يجعل هذه الأخبار تمر على النقد السندي، وتمر كذلك على النقد المتني.

وكذلك منهم من يجعل لها موازين أخرى للنقد كما اختار الإمام ابن خلدون نقدا وإن كان وافقه بعضٌ فيه، وهناك من نقده، وهو عرض هذه الأمور التاريخية والنقول والحوادث حسب الحالة الاجتماعية التي نقل عنهم فيها هذه الحوادث، فيعرّض الخبر المنقول للحالة الاجتماعية التي كانت في ذاك الزمان، بحسب العمران وأحوالهم وظروفهم، ومبانيهم، وثقافتهم وحضارتهم، فقد يزن الواقعة والحادثة على وفق

ما كان عند أولئك في زمنهم، فإن رآها متوافقة قبلها وإلا ردّها، فإذن في مصادر التاريخ ونقل أخبار التاريخ تظهر لنا فائدة علم التاريخ وعلم الجرح والتعديل، وهو منهج يتفرد به المسلمون دون غيرهم، وهنيئا لهم به، وهذا باعتراف الموافق والمخالف، بل باعتراف حتى الكفار، والمخالفين للمسلمين.

[أعظم المصادر ثقة القرآن الكريم -تاريخ آدم ﷺ كأنموذج-]

ومن أعظم ما يعد مصدرا موثوقا لنقل أخبار قد مضت ما ورد في كتاب الله ﷻ، وما ورد في السنة الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ، وفي القرآن نقل عن أخبار آدم وعن بعض الأنبياء، وعن بعض الحوادث التي وقعت في السابق، وكذلك في سنة النبي ﷺ هذه مصادر من أعظم ما يوثق فيها، فما نقل في كتاب الله ﷻ هو الذي يؤخذ به لأنه خبر صادق ثابت متواتر نقله، فلا يعارضه غيره، وكذا ما ورد في السنة الصحيحة الثابتة.

فإذن المصدر القرآني هو الأصل، فالمصدر القرآني ينص على أن بداية البشرية بنزول آدم ﷺ، وقصة آدم قد ورد ذكرها في كتاب الله ﷻ في مواضع كثيرة، فلم يكن آدم أصلا مخلوقا، ثم خلقه الله ﷻ بيده، وكان خلقه من تراب، وبل التراب بالماء فصار طينا، ثم صار فخارا بعد أن يبس، ونفخ الله ﷻ فيه من روحه، وكانت بداية نفخ الروح من أسفله، حتى إذا بلغت إلى أنفه عطس فحمد الله، أي علمه الله ذلك كما قال ﷻ {وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا}البقرة٣١، فكان هذا أول مخلوق، وأدخله جنته، وخلق منه حواء من الضلع الأعوج[١] كما جاء في الحديث، وأدخلهما الجنة، ونهاهما عن الأكل من الشجرة، وقضى وسبق في قدر الله تعالى أن يأكل منها، ويعصيه { وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى}طه١٢١-١٢٢، فلما وقعت منه المعصية وخالف الأمر قال تعالى {أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَآنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ * قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا}الأعراف٢٢، فقضى الله ﷻ أن يهبطا إلى الأرض فأهبطهما إلى الأرض، أي أرض أهبطهما إليها؟ كثيرة هي الروايات في ذلك، لكن الذي هو محل اتفاق أنه ما أنزل في إفريقيا، قيل بلاد الشام، وقيل بلاد الحجاز الجزيرة، وقيل بلاد الهند، وتلك النواحي على كلٍّ، أكثر الروايات على أنها بأرض الهند، فأنزل وعاش ما عاش، وولد له وصار في شريعته إذا ولدت حواء تلد بطنين، فالبطن يكون فيه ذكر وأنثى، فلا يحل للذكر أن يتزوج من هذه الأنثى التي

---

[١] أخرجه البخاري (٣٣٣١) واللفظ له، ومسلم(1468)

ولدت معه في بطن واحد، فإذا جاء حمل آخر كان فيه ذكر وأنثى، فالذكر من البطن الأول له أن يتزوج من أنثى البطن الثاني، وكذلك ذكر البطن الثاني يتزوج من أنثى البطن الأول وبذلك بدأت هذه البشرية، هذا خبر موثوق في كتاب الله ﷻ.

لما نأتي إلى أهل التاريخ يقولون: عصور ما قبل التاريخ! وهل هناك عصور ما قبل التاريخ؟ موجود بناء على ما كتبه داروين في كتابه **(أصل الأنواع)** فما قبل التاريخ لم يكن هناك إنسان، وإنما كانت مخلوقات تطورت إلى أن صارت إنسانا، هذا يصادم القرآن الكريم، الله ﷻ قال {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}التين٤، آدم ﷺ أوتي الحسن كله، ولم يؤت يوسف إلا شطرا منه عليهم الصلاة والسلام، إذن فبداية البشرية بدأت بنزول آدم ﷺ من آدم إلى نوح عشرة قرون كلها على التوحيد، ففي قوم نوح بدأ الشرك كما ذكرنا يوم أمس من الفوائد التي نستفيدها تأكيد حقائق، ومن الحقائق أن الأصل هو التوحيد والشرك طارئ {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ..}البقرة٢١٣، فوقع الشرك بعد ذلك في قوم نوح لمّا عظّموا أولئك الصالحين {وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلَا سُوَاعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً * وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالاً}نوح٢٤-٢٥، عبدوا هذه الأصنام، وهذه الأصنام هي التي انتهت إلى جزيرة العرب في جاهليتهم، ومن هنا بدأ أول الرسل بعد وقوع الاختلاف، فآدم أول رسول بعد وقوع الاختلاف، وقيل أيضا من ولده شيث وقيل أنزل عليه صحف، فهذا يدل على أنه كانت فيه قراءة، وكانت فيه كتابة، سواء منهم أو ممن كان معهم، أو بينهم أو ممن جاء بعدهم، ففيه قراءة وكتابة فكيف يقال: عصر ما قبل التاريخ؟ هذا لا يصح.

فإذن جاء نوح عليه السلام، ودعا قومه وبقي فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما، فلما لم يطعه قومه إلا القليل منهم جاء عذاب الله ﷻ لهؤلاء فأرسل عليهم الطوفان، وعمّ الماء الأرض ولم ينج إلا من آمن مع نوح ومن تبعه ﷺ، {وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}هود٤٤، عادت الحياة مرة أخرى إلى هذه الأرض، وكان من ولد نوح -قيل- سام وحام ويافث، وكل كان في أرض من الأراضي ومنهم عادت أيضا توالد البشرية، وجاء إبراهيم ﷺ ومن ولده إسماعيل وإسحاق، وكان الأنبياء وكان الأنبياء كلهم من ولد إسحاق، فمن إسحاق يعقوب

وبعده يوسف إلى أن انتهت إلى داود وسليمان وموسى، ومن موسى إلى عيسى صلى الله عليهم وسلم، فمنهم من يؤرخ بهذه المحطات، آدم ﷺ ، نوح، إبراهيم من زمن إلقائه في النار، إلى إسحاق وإسماعيل، وفي إسماعيل إلى زمن بناء البيت، ثم يوسف الذي كان بمصر ثم إلى موسى وسليمان وداود ثم إلى عيسى ثم إلى محمد ﷺ، من إسماعيل كان نبي واحد من ذرية إسماعيل ألا وهو نبينا محمد ﷺ هكذا كانت بداية التاريخ.

[تقسيم العصور إلى قديمة ووسطى وعصر حديث]

وهم يقدمون هذه العصور إلى العصور القديمة والعصر الحديث، وهذا بحسب الزمان، وكل عصر له بداية ونهاية، وكل بداية ونهاية تختلف من قوم لآخرين، ولا يُعلم ضبطها بدقّة، فكلّ أمة لها تاريخها ولها هذه العصور الثلاثة، فيوجد للأوروبيين هذا التقسيم، وللعرب وللفرس وللهند وللأفارقة، كل له تاريخه، وكذلك تاريخ النبوات وكذلك التاريخ الإسلامي الذي كانت بدايته ببعثة النبي ﷺ.

هذا التقسيم للتاريخ إلى عصور قديمة ووسطى وحديث، هو تقسيم أوروبي لكنه لا يسلّم على الإطلاق لأنهم لا يعتبرون تاريخ النبوات وأثرها على البشرية، هم لا يعتبرونها، وإذا جئنا إلى تقسيم البشرية باعتبار الشرع يمكن أن نقسمه إلى قسمين: قسم الذين آمنوا واستجابوا للرسول ﷺ، والقسم الآخر قسم الذين عاندوا وكفروا ولم يؤمنوا بالله ﷻ ولا برسله عليهم الصلاة والسلام.

هذا في الجملة التقسيم التاريخي، عند الأوروبيين يقولون: التقسيم التاريخي للعصور القديمة تبدأ بثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، ميلاد المسيح ﷺ، وقيل أربعة آلاف إلى سنة ١٣٩٥م هذه كلها عصور قديمة، وبعد ذلك تأتي العصور الوسطى.

[أقسام التاريخ عند العرب]

لكن عندنا عند العرب العصور القديمة تبدأ من العرب البائدة، وقد ذكر الله لنا عادا وثمود، وذكر أيضا أرسل لهم من الأنبياء كهود وصالح وشعيب عليهم السلام، وإرسال إبراهيم ﷺ إلى بلاد العراق وفلسطين، وأيضا مكة، وإسماعيل كان بمكة، وإسحاق كان ببلاد الشام وفلسطين، ولوط كان بناحية

من أرض فلسطين، وكانت الأنبياء في ذرية إبراهيم من جهة إسحاق ﷺ وأما من جهة إسماعيل فإنما جاء نبي الله محمد ﷺ.

والبعثة المحمدية تعدّ مرحلة جديدة ومن بعد البعثة النبوية ﷺ إلى هذا الزمن تقسّم بتقسيمات وباعتبارات كثيرة، فباعتبار الحكم عندنا صدر الرسالة، أو صدر الإسلام وهو عهد النبوة، والخلفاء الراشدين، ويلحقون معهم الدولة الأموية، بعدها تأتي الدولة العباسية ثم العصر المملوكي، ثم الدولة والخلافة الثمانية، ثم يأتي العصر الحاضر.

وقد يقسم باعتبار الزمان، فعندنا القرون المفضلة الثلاثة الأولى، ثم القرون الوسطى الإسلامية، ثم العصر الحديث، ولا شك أن كل تقسيم له صفات، وله سمات أو خصائص.

كذلك بحسب الأقاليم والبلدان، فعندنا عصر التوسع والامتداد وكان في أول الإسلام، وبعده البناء الحضاري، ثم ركود وضعف، ثم جاء عصر النهضة العلمية، ثم العودة إلى كثرة الفتوحات في زمن الدولة العثمانية، ثم وقع بعد ذلك الانكسار، ثم عصر الاستدمار، ثم العصر الحاضر الحديث الذي نحن فيه.

ويمكن ذكر تقسيم آخر أيضا، وهو عصر النبوة من السنة الأولى الهجرية حيث كان منشأ دولة الإسلام إلى سنة إحدى وأربعين نهاية خلافة الخلفاء الأربعة، بعد ذلك من سنة ٤١هـ إلى سنة ١٣٢هـ الدولة الأموية وكانت عاصمتها دمشق، بعد ذلك الدولة العباسية وكانت عاصمتها بالعراق من سنة ١٣٢هـ إلى سنة ٢٣٢هـ هذه الدولة الأولى، ثم من ٢٣٢هـ إلى ٤٤٧هـ الدولة العباسية الثانية، ثم الثالثة من ٤٧٤هـ إلى ٦٥٦هـ حيث أسقطت على يد التتار والمغول، وبعد ثلاث سنوات أعيدت الخلافة العباسية، ولكن على أيدي المماليك فلم يكن للحاكم العباسي إلا من باب قصره فما داخل، وينيب خارج باب قصره المماليك.

جاء بعد ذلك عصر الدولة العثمانية إلى أسقطت على يد أتاتورك سنة ١٣٤٣هـ أي ١٩٢٤م، وبعد ذلك صارت دول بالمشرق وجزيرة العرب ودول بالمغرب الأندلس، ففي المشرق كانت دول كثيرة الدولة الطاهرية، والغزنوية، والتركمانستانية، والدول الآسيوية، وكان أيضا في الجزيرة العربية باليمن وصنعاء وبعمان وغيرها، وكذلك كان بمصر والمغرب والأندلس دول كثيرة بدأ بالدولة الأموية التي كانت على يد

عبد الرحمن الداخل، ثم دولة الطوائف، ثم المرابطين، ثم الموحدين، ثم الأغاربة، ثم الدولة الفاطمية العبيدية هي شيعية، ثم بني زيري، ثم بني حماد بالجزائر، ثم المرابطين بالمغرب، وأيضا الموحدين بالمغرب، ثم بني حفص بتونس، وذلك بني زيان بالجزائر، وبني مرين، ثم بعد ذلك الجزائر تحت السلطة العثمانية، ثم الاستعمال الغاشم وهو استدمار، ثم الوقت الحالي الذي نهايته إلى هذا الزمن الذي نحن فيه، فلكم أن تواصلوا التأريخ.

هذا باختصار منحى سرنا فيه لنصل إلى تاريخ الجزائر للعلامة المبارك الميلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأنا لست من أهل الفن ولا من أهل الاختصاص، لكن حاولت أن أسطّر طريقا، لنصل إلى هذا الكتاب "تاريخ الجزائر في القديم والحديث" لمؤلفه المبارك بن محمد الميلي.

فلعلي أكتفي بهذا، لأنه جاوزنا ثلث ساعة، الدرس القادم يكون في ترجمة موجزة للمؤلف إن شاء الله تعالى، ونشرع في قراءة الكتاب.

أقول: الكتاب فيه بعض الأشياء التي ذكرتها في درس أمس، بعض الأمور التي تتعلق بجغرافيا البلد، والثروة المعدنية، والثروة الحيوانية وغير ذلك، لعلنا نتجاوز هذا إن شاء الله، والأشياء الأخرى نقرأها ونمشي فيها الهوينى، واحدة واحدة، سائلا الله تبارك وتعالى لنا ولكم التوفيق والسداد، والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.